

الامامة والسياسة

[50] أمير المؤمنين، أتكلم أو أسكت ؟ فقالت له نائلة: بل اسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه. فالتفت إليها عثمان مغضبا، فقال: اسكتي، تكلم يا مروان، فقال مروان: يا أمير المؤمنين والله لو قلت الذي قلت وأنت في عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذي قلت وقد بلغ السيل الزبى (1)، وجاوز الحزام الطبيين، فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة. ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله قال: وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تناولوه في البنيان، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: دارا لنائلة، ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب (2) وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ورسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبنو عمه من بني أمية أحداث وغلبة لا صحة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أريدكم صلاة زدتكم، وتعطي له إقامة الحد عليه، وتأخير ذلك عنه، وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إداره القطاعات والارزاق والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحة من النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لا يغزون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران (3). _____ (1) الزبى: الزيبة مصيدة الاسد، ولا تتخذ إلا قلة أو رابية. والطبيين واحدها طبي كما يقال في الطلف والخف خلف. فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه. المثل في أمثال أبي عبيد 343 فصل المقال ص 472 جمهرة الامثال 1 / 220 مجمع الامثال 1 / 91. (2) ذو خشب: موضع بالمدينة. (3) قارن مع ما ذكره الطبري 5 / 93 وابن سعد 3 / 64 والعقد الفريد 4 / 283 ومروج الذهب 2 / 373 - 374. والبداية والنهاية 7 / 192. (*)